ماهية الخطاب الديني في المجتمع الإسلامي

الأستاذ: بن حليمة محمد

جامعة الجزائر

الخطاب الديني، أو الخطاب الديني الإسلامي بصورة خاصة، أو ما أسميه اختصاراً وبلغة العصر ـ الناطق الرسمي للدين ـ متشعب، وصعب المراس، اختلف فيه الممارسون في الحقل الديني، واتخذ أشكالاً وألواناً أضافت إليه معطيات العصر الكثير من التحديدات والمعالم، بل وذهب البعض إلى تحميله ما لا يطيق، ونظرا لأهمية الخطاب الديني من جهة، ولأهمية التحديات وجديتها من جهة أخرى، وما يفرضه الوضع من تغير وتحول فكري وسياسي، فقد حاول مفكرو العالم الإسلامي تحريك الخطاب الديني ليتلاءم مع ما تفرضه طبيعة التطور الحاصل، والاستفادة من العصرنة والتحديث حتى لا تظل المجتمعات الإسلامية تعيش على الهامش، وتعيش في حالة من التمزق بين الواقع ذي الطبيعة المحافظة من ناحية، والنزوع نحو تحقيق انسجام مناسب مع مظاهر الحضارة والتقدم من ناحية أخرى، فكل خطاب مهما كان، يخضع ككل سلوك اجتماعي لمعايير اجتماعية عامة جداً، فكل عمل تلفظ لا يمكن أن يقع بدون أن يبرر بطريقة أو بأخرى حقه في تقديم نفسه كما يقدمها، ويساهم انخراطه في أجناس الخطاب مساهمة أساسية في إضفاء المشروعية على نفسه، فالخطاب الذي يستعمله المسلمون واحد، حيث يمثل قاسماً مشتركاً بينهم جميعاً، ونظاماً مرجعياً يشمل كل أفكارهم، لكن التباين الواضح بينهم يبينه طريقة تعاملهم معه، وقراءتهم التي ترضخ لمنهجية معينة أملتها مصالح وانتماءات اجتماعية وإيديولوجية مختلفة.

Abstract:La Nature du discours religieux dans la communauté Musulmane

Le discours religieux, ou le discours religieux islamique en particulier, ou ce que j'appelle le porte-parole de la religion, fourchu et disgracieux, ce qui a susciter au désaccord entre les praticiens du champ religieux, vue que ses différentes formes et ses particularités , en plus les répercussions de la modernité sur ce dernier.

Le Discours religieux, est l'un des sujets d'études et d'analyse qui intéresse beaucoup de spécialistes dans tous les domaines: les penseurs, des historiens, des

orientalistes ..... Leurs motifs est de découvrir ces dimensions: jurisprudence, linguistique et rhétorique, sociale, politique.....

Il ne fait aucun doute que ce discours est aujourd'hui, largement débattu, certains appellent à l'identification et la détermination de ses repères et caractéristiques, par contre la position des détenteurs de la tradition est claire et ferme, refus et involution contre toute tentative d'une simple lecture et de la compréhension, sous prétexte de l'intervention et la domination étrangère et de subordination à l'Occident et d'autres de raisons.

مقدمة: الخطاب الديني، أو الخطاب الديني الإسلامي بصورة خاصة، أو ما أسميه اختصاراً وبلغة العصر ـ الناطق الرسمي للدين ـ متشعب، وصعب المراس، اختلف فيه الممارسون في الحقل الديني، واتخذ أشكالاً وألواناً أضافت إليه معطيات العصر الكثير من التحديدات والمعالم، بل وذهب البعض إلى تحميله ما لا يطيق.

فالغرب مثلاً جعل من الخطاب الديني، هدفه في حرب معلنة وغير معلنة، وأعد العدّة وطالب بتغيير هذا الخطاب حتى يتلاءم مع معطيات العصر الجديد، وأبناء الأمة جعلوا منه سبب الانحطاط والتدهور وطالبوا بتجديده أو إدخال عليه الكثير من المستجدات التي تطبع العالم، وترك كل معطيات التراث، وغيرها من المعطيات التي تتبارى كلما بدأ الحديث عن الخطاب الديني. فالخطاب أولاً، كان ولا يزال محل دراسة وبحث كبيرين من قبل المختصين في جميع المجالات، فقد " شدّت دراسة هذا الخطاب انتباه عديدين من المستغلين به: من فقهاء ونحاة ومتكلمين ومفكرين ومؤرخين ومستشرقين، واستثارت فيهم جهوداً تباينت مداخلها وتراوحت قيمها ودرجات عمقها، نحو اكتشاف أبعاده الفقهية واللغوية والبلاغية والاجتماعية والسياسية، وشكلت رغم ذلك رصيداً لا يستطيع باحث أن يتجاهل ما تنطوي عليه من اجتهادات، يلزم هنا الإحاطة بها ونقدها "[1].

فلا شك أن هذا الخطاب أصبح اليوم أكثر من أي وقت مضى محل نقاش واسع، يطالب البعض بتحديد معالمه والتعريف به بصورة تتجلى فيها صلاحية الدين الإسلامي لكل زمان ومكان، ويقف أصحاب التقليد والإتباع ضد كل محاولة لمجرد القراءة والفهم، وذلك بدعوة التدخل الأجنبي والسيطرة الأجنبية والخضوع للغرب وغيرها من الأسباب، فيما يدعو البعض الآخر إلى دراسة الخطاب الديني دراسة علمية تتخذ من وسائل العلوم الاجتماعية الحديثة أسلحة لها، وطرف

آخر يطالب بانتهاج نفس الطريق الذي اتخذته أوروبا للتخلص من قيود الدين، وغيرها من المواقف المتباينة حول ماهية الخطاب ودوره في حياة المجتمع والأمة.

وحتى نعرف الخطاب الديني، وكيف يجب أن يكون؟ لا بد أن نقوم بتعريفه، والتعرف على مختلف عناصره التي يتكون منها وتأثيرها في أداء رسالته السامية في المجتمع، ثم معالم هذا الخطاب، حيث يكون الخطاب كالدين واجب على كل مسلم، ويكون ربانياً يتطلب الاقتداء بالقرآن الكريم في الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة. وفي محاولة منا للإجابة على العديد أو الكثير من الأسئلة التي نذكر منها على سبيل الحصر: **ما هو الخطاب؟ وما هو الخطاب الديني؟ ما هي عناصر هذا الخطاب؟ وما هي معالم الخطاب الديني في تربية وتثقيف المجتمع؟**، وسوف نحاول الإجابة على هذه الأسئلة، ومختلف التساؤلات التي توافق أو تتشابه مع هذه الأسئلة في هذا المقال.

أولاً: تعريف الخطاب الديني.

1-التعريف اللغوي للخطاب: كلمة الخطاب مأخوذة من مادة (خَطَبَ)، والخطاب "أحد مصدري الفعل خاطب يُخاطب خطاباً ومخاطبة، وهو يدل على توجيه الكلام لمن يفهم... والإمام الجويني يرى أن الكلام، والخطاب، والتكلم، والتخاطب، والنطق، واحد في حقيقة اللغة، وهو ما يصير الحي به متكلماً"[1]، والخطاب عند العلامة ابن منظور هو الشأن أو "الأمر الذي تقع فيه المخاطبة... والخطاب والمخاطبة: مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطاباً، وهما يتخاطبان"[2].

فيما يرى آخرون أن الخطاب في اللغة مرَّ بعدّة مراحل، من مرحلة أحادية الدلالة، مثل ما ذكرنا سابقاً، والتي تستند في تعريفاتها على التعريف المباشر الذي يحيل الخطاب إلى الكلام، ثم بعد ذلك الاستناد على التفسير المباشر للآيات القرآنية التي جاءت فيها كلمة الخطاب، في قول الله تعالى: **﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾**[3]، وقول الله: **﴿فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾**[4]، وقوله تعالى أيضاً: **﴿رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾**[5]. ثم مرحلة ثنائية الدلالة، وهي مرحلة يدخل فيها "علم الكلام، والخلاف فيه عنصران أساسيان في تشكيل

دلالة محايثة للخطاب من جهة، وإضافة معاني جديدة إلى المدلول المعجمي للخطاب من جهة أخرى. وذلك بعد أن درج المفهوم، واستخدمه بعض الأصوليين استخداماً مرادفاً للكلام"[6].

بينما توجد العديد من التعريفات التي تنظر إلى الخطاب بصفة أعم وأشمل وأوسع وأعمق من التعريف اللفظي أحادي الدلالة، أو ثنائي الدلالة، فهناك مرحلة تعدد الدلالات، حيث استفاد مصطلح الخطاب من تراث المفهوم وشكل حقلاً دلالياً خاصاً به، قريب من المعنى الأصلي، ويزيد عليه حسب معطيات كل حقل جديد يستخدم الخطاب. فيمكن أن يكون الخطاب مكتوباً يعالج موضوع بشيء من التفصيل، ويكون موجهاً نحو قضية من القضايا التي يسعى إلى دراستها أو علاجها أو الإشارة إليها. فالكتابة حسب بول ريكور مثلاً:" هي التجلي الكامل للخطاب [...] على أن للكتابة جذراً متميزاً عن الكلام"[7].

كما يندرج مصطلح الخطاب في اللغة ضمن العديد من المقابلات الكلاسيكية، نذكر منها:

خطاب مقابل جملة: وفيها يمثل الخطاب بأنه وحدة لسانية متكونة من جمل متعاقبة، وهذا هو المعنى الذي يقصده (ز. س. هريس) عندما يتحدث عن تحليل الخطاب، ويتحدث بعضهم عن نحو الخطاب، واليوم يفضل البعض الحديث عن لسانيات نصية.

خطاب مقابل لسان: فاللغة طبقاً لتحديدها بأنها نسق من القيّم تقابل الخطاب، كما يمكن توجيه الخطاب نحو بعد اجتماعي، يكون فيه الخطاب هو الاستعمال بين الناس لعلامات صوتية مركبة لتبليغ رغباتهم أو آرائهم في الأشياء. والخطاب قريب من التلفظ عند (أ. بنفنيست): فهو اللسان باعتبار أن الإنسان المتكلم يضطلع به وفي ظروف ذاتية متبادلة هي التي تجعل التواصل اللساني ممكناً.

خطاب مقابل نص أو ملفوظ: فالخطاب هو شكل من أشكال إقحام النص، يسمح بالمقابلة بين طريقتي نظر إلى الوحدات المتجاورة للجملة باعتبارها وحدة لسانية (ملفوظ)، وباعتبارها أثر فعل تواصل محدد اجتماعياً وتاريخياً، وهذه المقابلة هي التي اعتمدت من جهة أخرى لإسناد وجهة نظر خصوصية لتحليل الخطاب، فإلقاء "نظرة على نص من حيث هيكلته (في اللسان) يجعل منه ملفوظاً، والدراسة اللسانية لظروف إنتاج هذا النص تجعل منه خطاباً"[1].

أما في اللغة الفرنسية، فكلمة خطاب تقابلها كلمة (Discours)، وأصل ومضمون الكلمة لاتيني، وهي تعني Discursus وفعلها Discurure والذي يعني الجري هنا وهناك، كما أن كلمة الخطاب تعبر عن الجدل Dialectique والعقل أو النظام Lagos وهو ما نجده عند أفلاطون"[2].

2- التعريف الاصطلاحي للخطاب: يُعد الخطاب من المفاهيم الفلسفية الخالصة، رغم كل ما عرفه من تطور في معناه ومفهومه، وتغير في وظيفته وأهميته في مختلف حقول المعرفة، خاصة في علم الاجتماع، فقد انطلق من عند أفلاطون، حيث ربطه بالعقل (Logos) وفي عصر النهضة بديكارت في كتابه (خطاب في المنهج)، حيث تمَّ إبراز الدور الفعال الذي يؤديه الخطاب في مختلف المجالات، ويعتبر كتاب ديكارت تأسيساً للخطاب وليس فقط تفسيراً وتحديداً للمصطلح أو المفهوم.

أما في العصر الحديث فيشكل الخطاب علامة هذا العصر البارزة دون منازع، وفي مختلف الحقول كما قلنا. فقد ارتبط ارتباطاً وثيقاً بميشيل فوكو (M. Foucault)، واتخذ المفهوم أبعاداً إبستيمولوجية مستقلة، فقد بحث ميشيل فوكو الخطاب "بوصفه مفهوماً مرتبطاً بالإنسان ومؤسساته، إن الخطاب لم يعد طريقة للتعبير أو حديثاً متساوقاً، أو مجموعة عمليات فكرية مترابطة، أو تحليلاً لذات واعية تتأمل وتعرف وتعبر، وإنما أصبح إمكاناً وشرط وجود ونظاماً، وأصبح حقلاً تتمفصل فيه الـذوات، ومجموعة علاقات تجد فيها مرتكزاً له "[3].

يعترف ميشال فوكو بأنه ضاعف وأكثر من معاني الخطاب، حيث يقول: "فهو أحياناً يعني الميدان العام لمجموع العبارات، وأحياناً أخرى مجموعة متميزة من العبارات، وأحياناً ثالثة، ممارسة لها قواعدها تدل دلالة وصف على عدد معين من العبارات وتشير إليها"[1]. ويعرفه كذلك في موقع آخر من كتابه (حفريات المعرفة)، بأنه "مجموعة من العبارات بوصفها تنتمي إلى ذات التشكيلة الخطابية، فهو ليس وحدة بلاغية أو صورية قابلة لأن تتكرر إلى ما لا نهاية، يمكن الوقوف على ظهورها واستعمالها خلال التاريخ (مع تفسيره إذا اقتضى الحال)، بل هو عبارة عن عدد محصور من العبارات التي تستطيع تحديد شروط وجودها"[2]. فهو يركز كما نلاحظ في تعريفاته على المنطوق،

ليشير أحياناً إلى لعدد المنطوقات، أو ليميّز الخطاب عن تلك المجموعات التي يسميها الخطابات، والمنطوق هو أبسط جزء في الخطاب.

أما فيما يخص الخطاب الديني، فيقول يوسف القرضاوي:"إن المراد بخطابنا الديني الإسلامي: البيان الذي يوجه باسم الإسلام إلى الناس مسلمين أو غير مسلمين، لدعوتهم إلى الإسلام، أو تعليمه لهم، وتربيتهم عليه: عقيدة أو شريعة، عبادة أو معاملة، فكراً أو سلوكاً، أو لشرح موقف الإسلام من قضايا الحياة والإنسان والعالم: فردية أو اجتماعية، روحية أو مادية، نظرية أو عملية "[3].

وهو أيضاً، "ذلك الخطاب الذي لا يعترف إلا بالوحي الإلهي الصحيح، القرآن والسنة مضافاً إليهما اجتهاد العلماء المنضبط بالضوابط الشرعية المعتمدة المعروفة بالأدلة الشرعية، مثل الإجماع والقياس والاستحسان والمصالح المرسلة وسد الذرائع وغيرها التي هي السبيل إلى التغلب على ما يستجد من أمور بفعل تغير العصور والأمكنة، مصدراً للتشريع في أمور الحياة العامة والخاصة"[4].

فالخطاب الديني يشمل الفرد والأسرة، والمجتمع والأمة، والدولة والعالم، حيث يتعرض هذا الخطاب لقضايا دينية خالصة، تتعلق بالعقائد والأمور الغيبية والروحية، أو يتعرض للعبادات الشعائرية، أو يتعرض للقضايا الأخلاقية الخاصة بالقيم العليا، والفضائل والسلوكات الإنسانية الراقية. وقد يتعرض لقضايا اجتماعية، تتعلق بالرقي بالمجتمع والسمو به من حضيض المادة والنفعية التي عُرفت فيها المجتمعات المادية المعاصرة، وحل مشاكل المجتمع من الفقر والجهل والمرض والرذيلة والفساد الخلقي أو التعرض للنظام الاجتماعي، والنظام السياسي، وقد يتعرض لقضايا فكرية أو اقتصادية أو سياسية أو دولية، ليقدم العلاج لها على ضوء تعاليم الإسلام.

فليس هناك ما يدعو إلى وجود "جوهر ثابت (Substance confirmée) للخطاب الإسلامي، فما أكثر التيارات والاتجاهات المتعارضة والمتصارعة التي تشكل التاريخ الحي لهذا الخطاب، بل ما أشد الصراعات التي دارت بين أصحابه، ممن اتفقوا حول أصول العقيدة، واختلفوا حول روح الشريعة"[5]لاعتمادها على أطر وسلطات مرجعية مختلفة فهي تعبر عن الاختلاف بين هذه

التصورات ولا تعبر عن فئات أو طبقات. فالأطر أو السلطات المرجعية "تشارك دون شك في بلورة تمايز مضامين الخطاب الإسلامي، لكن هذه الأطر دالة في حد ذاتها، وهو ما يفسر صعوبة التسليم بأن أصحاب هذا الخطاب مجرد تعبير عن أطر مرجعية تحيا في زمان غابر، بل أن الانتقال من التراث إلى واقع مختلف يغير من هذه الأطر، والأحرى أن سلفية هذا الخطاب هي مجرد تكييف إيديولوجي للتراث مثل استجابة لمتغيرات واقع مغاير"[1].

يحدد حسن حنفي الخطاب الديني بقوله: "سواء أكان ذلك مقدساً أو دنيوياً، إلهياً أم إنسانياً، وحياً أم إلهاماً، نقلاً أم عقلاً، وهو أكثر الخطابات عمومية لأنه سلطوي، أمري تسليمي إذعاني، وقد يكون خطاباً عقائدياً كما هو الحال في علم الكلام، أو باطنياً، كما هو الحال في التصوف، أو تشريعياً، كما هو حال الفقه وأصوله يقدسه الناس حتى يصبح بديلاً عن المقدس ذاته، يعتمد على سلطة النص أكثر من اعتماده على سلطة العقل، يعتبر نفسه مقياساً لأنواع الخطابات الأخرى، يتوحد به الحكام، بحيث يصبح الخطاب الديني والخطاب السياسي خطاباً واحداً"[2].

ونظرا لأهمية الخطاب الديني من جهة، ولأهمية التحديات وجديتها من جهة أخرى، وما يفرضه الوضع من تغير وتحول فكري وسياسي، فقد حاول مفكري العالم الإسلامي إلى تحريك الخطاب الديني ليتلاءم مع ما تفرضه طبيعة التطور الحاصل، والاستفادة من العصرنة والتحديث حتى لا تظل المجتمعات الإسلامية تعيش على الهامش، وتعيش "حالة من التمزق بين الواقع ذي الطبيعة المحافظة من ناحية، والنزوع نحو تحقيق انسجام مناسب مع مظاهر الحضارة والتقدم من ناحية أخرى، وهنا تمثل إشكالية التجديد صدى لذلك التوتر القائم بين السلطة التقليدية للخطاب الديني والرغبة الملحة في تطوير الذات من خلال الانخراط في إطار حضارة كونية"[3].

فكل خطاب مهما كان، "يخضع، ككل سلوك اجتماعي، لمعايير اجتماعية عامة جداً، زيادة على هذا، فالنشاط محكوم، كما تُبيّن قوانين الخطاب بمعايير خصوصية، وكل عمل من أعمال اللغة يتضمن معايير خاصة، فعمل بسيط ظاهرياً مثل السؤال يقتضي أن المتكلم يجهل الجواب، وأن في هذا الجواب شيئاً من الفائدة له، وأنه يظن أنه يمكن للمرسل إليه أن يمده به... فكل عمل تلفظ لا

يمكن أن يقع بدون أن يبرر بطريقة أو بأخرى حقه في تقديم نفسه كما يقدمها، ويساهم انخراطه في أجناس الخطاب مساهمة أساسية في إضفاء المشروعية"[4] على نفسه.

فالخطاب الذي يستعمله المسلمون واحد، حيث يمثل قاسماً مشتركاً بينهم جميعاً، ونظاماً مرجعياً يشمل كل أفكارهم، لكن التباين الواضح بينهم يبينه طريقة تعاملهم معه، وقراءتهم التي ترضخ لمنهجية معينة أملتها مصالح وانتماءات اجتماعية وإيديولوجية مختلفة.

ثانياً: عناصر الخطاب الديني

فإذا كان معرفة الخطاب من حيث الموضوع والمضمون ضرورية في حياة الفرد في المجتمع الذي يحيا فيه، فإن المعرفة الجيدة لعناصر هذا الخطاب واجبة، لأن "وجوبها المعرفي يكون أكثر ضرورة، إذ كيف يأتي للمجتهد أن يغفل شيئاً يفرض نفسه عليه وهو يقوم بعملية الفهم، إن على مستوى الألفاظ ودلالتها أو على مستوى ما يحيط بها من محددات تتحكم في تلك الدلالة "[1]، وبالتالي فإن المعرفة بعناصر الخطاب تفرضها الغاية التي يسعى إليها الباحث، فعلم "المعاني والبيان الذي يعرف به نظم إعجاز القرآن فضلا عن معرفة مقاصد كلام العرب، إنما مداره على معرفة مقتضيات الأحوال: حال الخطاب من جهة نفس الخطاب أو المخاطِب أو المخَاطَب أو الجميع"[2]. وهو ما سوف نتطرق إليها بنوع من التفصيل في هذا المبحث، انطلاقاً من المخَاطِب أو المُلْقي، المخَاطَب أو المُتَلَقِي المخاطب به، أي الخطاب أو الرسالة وأخيراً زمن الخطاب ومكانه.

1- المخَاطِب (المُلْقي): إن الحلقة المركزية في أي خطاب كان، ومهما كان نوعه، هو ذلك الرجل الذي يتوجه به، محاولاً من خلال ما أعـدَّ التأثير على الجمهور المقابل له والملقي إليه بالسمع والملاحظة، ينتظر ما يجيب على العديد من الأسئلة التي اجتمعت لديه بمجرد سماع عنوان الخطاب. فالمخَاطِب (الخطيب) به "رسالة يريد تبليغها، ولديه أفكار ومفاهيم يرغب في إيصالها إلى مستمعيه، وهو يطمح دائماً إلى أن يبلغ رسالته على أفضل وجه ممكن، كما يطمح إلى أن يتبنى أفكاره ومفاهيمه أكبر عدد ممكن من الناس"[3].

ففي الدين الإسلامي، يشترط في الخطيب الكثير من الشروط، ولعل أبرزها ما ذكره العلامة علاء الدين علي الدمشقي، حيث قال:" ينبغي أن يكون عالماً بأحكام الخطبة، والصلاة وشرائطها

ومصححاتها، ومبطلاتها وجوابرها، وكيفياتها وتكملاتها، ولا يشترط أن يكون عالماً مجتهداً مطلقاً ولا مقيّداً، ولا أن يكون مفتياً في جميع الأحكام، ولا حِبراً لجميع الأنام، فإن ذلك من صفات الكمال، لا من صفات الصحة والإبطال، لكن يجب على أولياء أمور المسلمين أن لا يقدموا إلا من يختارونه ويرتضونه، لأن المصلحة فيها راجعة إليهم في دينهم ودنياهم "[4]. ورسول الله ﷺ يقول:"يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله، وأقدمهم قراءة، فإن كانوا في القراءة سواء فليؤمهم أقدمهم هجرة، فإن كانوا في الهجرة سواء فليؤمهم أكبرهم سناً، ولا يُؤَم الرجل في بيته ولا في سلطانه، ولا يُجلس على تكرمته إلا بإذنه"[5].

ومعنى التكرمة: هي الفراش، ومعنى الهجرة في العصر الحديث هي الأقدمية في الالتزام بدين الله تعالى. ورسول الله ﷺ يقول:"ليؤذن لكم خياركم، وليؤمكم قراؤكم"[1].

ومن بين الأمور الهامة التي لا يمكن لأي خطيب الاستغناء عنها نذكر ما يلي:

ـ دراسة اللغة دراسة تحول بينه وبين الخطأ، أي ضرورة دراسة قواعد اللغة التي يقدم بها الخطاب.

ـ سعة المحفوظات الأدبية من نثر وشعر ومأثور من كلام العرب والأمثال والوصايا والحكم، فضلاً عن حفظ القرآن الكريم وحفظ الكثير من الأحاديث النبوية الصحيحة، " فهذا المحفوظ يمده بالعبارات التي يستغلها بسرعة ويمنحه قدرة على التصرف في تعبيراته وألفاظه، كما أنه يسعفه أن يستشهد به على ما يقول"[2].

ـ دراسة أو معرفة الجوانب السلوكية والنفسية للمتلقي أو المخَاطَب، خاصة الغرائز وتربيتها، لأنه بدون علم هذه الأمور "لا يستطيع الخطيب أن يفهم نفسية سامعيه، وهذا يعود عليه بضرر كبير، فهو من ناحية لا يعرف ما يجب أن يقدمه لهم من نصائح وعظات، إذ لكل جماعة حاجة إلى نصائح خاصة، ومن ناحية أخرى لا يعرف أسباب الانحراف التي تطرأ على سلوكهم ولا كيف يكون علاجها"[3].

ـ الجرأة والشجاعة والثقة سمات ضرورية يجب أن تتوفر في الخطيب، فالجرأة تعني عدم التهيب والتردد فيما يتحدث عنه الخطيب، فقد يتعرض لمواقف توهن قوته وتجعله يغيّر مجرى ومسار

الخطاب. أما الشجاعة فهي قوة الخطيب في فرض رأيه على سامعيه، خصوصا عندما يكونون على غير رأيه، "وربما قاطعه بعض السامعين بما هو ضد ما يقول وفي المساجد قد يصفق بعض الحاضرين. وفي هذه الحالات لا يستطيع الخطيب أن يتخلص بمجرد الانصراف بوجهه إلى الآخرين وبتجاهل من يقاطعه، ولكن عليه أن يكون ثابتاً هادئاً مبدياً للناس بمظهره وثباته أن هذا ليس بشيء يهتم به. ثم يستمر في سرد الأدلة على رأيه مضمناً كلامه ردا على المعترض في بساطة وهدوء، فهذا موقف يعتمد على الشجاعة"[4].

ـ الإخلاص لله والحرص على الاستقامة التامة على تعاليم الدين، فالخطيب الذي يخلص عمله كله لله، ويستقيم استقامة تامة حسب تعاليم الدين يكون خطابه عبادة خالصة لله سبحانه وتعالى، لأنها دعوة إلى سبيل الله. والإخلاص في الخطاب الديني يفرض على الخطيب التخلي عن التأثيرات الشخصية كالهدف إلى الشهرة داخل المحيط الاجتماعي، فالخطيب في بعض الحالات يسعى إلى الاحترام الفائق الذي يفوق الحقوق، وينسى أن وظيفته التي يتلقى مقابلها أجراً، هي رسالة سامية يجب فيها إخلاص العمل لله سبحانه وتعالى دون غيره، ودون أي غاية دنيوية أخرى.

ـ المظهر اللائق والهيئة المناسبة، فلا بد أن يكون مقبول المظهر حسن الملبس، فكل ما يتصل بالأناقة الشخصية من ترتيب وتنظيم، تعزز ثقة الخطيب بنفسه وتولد لديه درجة حسنة من الرضا عن الذات. ومن وجه آخر فإن معظم الناس لا يستطيعون إصدار أحكام موضوعية على ما يسمعونه بعيداً عن شخصية قائله، بل إن أكثر الناس يقتنعون بالفكرة إذا ملأ صاحبها أعينهم وانتزع إعجابهم، ويزهدون فيها ويزدرونها إذا جاءتهم من شخص عليه نوع من الفوضى والإهمال. فقد سئل العديد من الشخصيات والمسؤولين والخطباء حول المنظر اللائق وتأثير اللباس، فأجمع الكل على "أنهم عندما يكونون بمظهر لائق وأنيق، يشعرون بتأثير ذلك. ومن الصعب شرح ذلك الشعور، لأنه غير محدد، رغم كونه حقيقياً. فقد منحهم الثقة بالنفس ورفع من تقديرهم الذاتي"[1].

ـ ثقافة الخطيب، فمهما كانت القضايا التي يطرحها، ومهما كانت أهميتها، " فإن العامل الأساسي في نجاحه وتأثيره، سيظل ما يملكه من معلومات ومعارف عميقة ودقيقة وشاملة حول

الموضوع الذي يتحدث فيه، فالناس لم يعودوا يؤخذون بالكلمات الأنيقة والعبارات الرنانة إذا لم ترتكز على معطيات علمية موثوقة وعلى معانٍ قوية ومتماسكة"[2].

فالخطيب يعرف قيمة الكلمة التي تخرج من فيه، فيجب عليه "أن يعرف أقدار المعاني ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاماً، ولكل حالة من ذلك مقاماً، حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني، ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات، فإن كان الخطيب متكلماً تجنب ألفاظ المتكلمين، كما أنه إن عبَّر عن شيء من صناعة الكلام، واصفاً أو مجيباً أو سائلاً، كان أولى الألفاظ به ألفاظ المتكلمين، إذ كانوا لتلك العبارات أفهم وإلى تلك الألفاظ أميل"[3]. وهذا يدل على ضرورة اهتمام الخطيب بالكلمة التي يستعملها من حيث المعنى، ومن حيث الناس الموجهة إليهم، لا يطنب حتى يملَّ المستمع الفاهم، ولا يقصر حتى يستغرب المستمع العادي المحدود.

2-المخَاطَب (المُتَلَقي): المُتَلَقِي، هو العنصر الثاني الفعال الذي يهدف إليه الخطاب الديني، فالرسائل، الكلمات أو حتى مختلف النشاطات التي يقوم بها المسجد أو القائمين عليه، هدفها الأساس توجيه وتنوير القادم إلى بيت الله، ومحاولة التأثير عليه والتأثير على سلوكه داخل المجتمع بما يخدم الصالح العام، هذا من جهة، ومن جهة أخرى حتى المُتَلَقِين عندما يقصدون المسجد، فإنهم يتطلعون إلى سماع شيء يحتاجون إليه، حتى حين يذهبون إلى صلاة الجمعة، فإنهم لا يهدفون إلى أداء فريضة فحسب، وإنما يتمنون أيضاً أن يسمعوا شيئاً مفيداً، يساعدهم على صلاح دينهم ودنياهم.

هناك من يذهب بعيداً عندما يتحدث عن المُتَلَقي كفرد من الجماهير، فالجماهير تعتبر في الغالب "غير ميالة كثيرا للتأمل، وغير مؤهلة للمحاكمة العقلية. ولكنها مؤهلة جداً للانخراط في الممارسة والعمل"[4]. وممارسة ما تقتنع به من خطاب مقدم، فهذه الجماهير هي التي تحول تلك الكلمات، والنصوص إلى أعمال وأفعال وسلوكات داخل المجتمع. أضف إلى ذلك، فإن تأثير الخطاب في نفوس السامعين أو الجماهير يقودهم إلى ما يريد الخطيب الناجح، لأن ما يميز المُتلقي عاطفته الجياشة، إذ تتميز بالبساطة، فبساطة "عواطف الجماهير يحميها من عذاب الشكوك وعدم اليقين، فالجماهير... تذهب مباشرة نحو التطرف. فما إن يبدر خاطر ما حتى يتحول إلى يقين لا يقبل

الشك. والشعور البسيط من النفور من شيء أو عدم استحسانه يظل في حجمه الطبيعي لدى الشخص العادي ولكنه يتحول مباشرة إلى حقد هائج لدى الفرد المنخرط في الجمهور"[1].

فالمُتلقي، إلى جانب ذلك يحب الارتجال، فالعوام من الناس وأصحاب الثقافة الضحلة كانوا ولا يزالون يشجعون دائما على الارتجال بوصفه تعبيراً عن مكنونات، وبوصفة ترجمة على الجرأة وسرعة البديهة. وقد لا يرتاحون كثيراً للكلام المكتوب رغم أنه كثيراً ما يكون أعمق في دلالته من الكلام المرتجل. وليس كذلك أهل الثقافة العُليا والمتخصصون، فهؤلاء يهتمون بالدلالة وبعمق المعاني وترابط الأفكار أكثر من اهتمامهم بطريقة التقديم أو الإلقاء. فالمُتَلَقي لن يكون أبدا ينتمي إلى نفس الفئة الاجتماعية، فالواردين على المسجد أنواع متعددة ومختلفة، يلج إلى المسجد العامل البسيط الأميِّ الذي يفقه في الدين كيفية أداء الصلاة بطريقة متوارثة، ويأتيه المثقف المتخصص في شعب العلم والأكاديمي الضليع في تخصصه، كما يأتيه الذي يوافقه المذهب والمشرب والاتجاه، ويواجه الذي يختلف معه مذهبياً وفكريا وحتى عقائديا.

3-مخاطب به: ونقصد به الخطاب أو الرسالة أو المحاضرة أو النشاط الذي يعدّه القائمون على المسجد، أي محتوى الخطاب حيث يعتبر "من المهم أن ننظر إلى الكلام الذي نوجهه للناس (المُخَاطَبِّ به)، على أنه وسيلة اتصال وامتزاج وتأثير، وليس وسيلة بلاغ وبيان فحسب. وحيث ننظر إلى أحاديثنا إلى الناس على أنها جزء من عملية اتصال لها طرفان، فإن قيمة الاستماع للآخرين تساوي حينئذٍ قيمة الحديث إليهم. إن رؤانا لكل شيء ناقصة، وإن في كل قضية نطرحها عنصراً غيبياً لم نطلع عليه. وقد يسمع العالم الألمعي من رجل عادي شيئاً ينفعه الله به، وقد ينبهه إلى خطأ شنيع وقع فيه دون أن يشعر"[2].

سوسيولوجياً، يختلف الأمر كثيراً، فهناك ترابط بين ثلاث معطيات مهمة، البنى الاجتماعية التي تمثلها اللغة الممارسات الاجتماعية والتي تعني نطاق الخطاب، ثم الأحداث الاجتماعية أو النصوص، أو ما نسميه في هذه النقطة (المخَاطَب به)، حيث أنه يمكن "اعتبار اللغات جزءاً من البنى الاجتماعية المجردة [...] لكن النصوص باعتبارها مكونة في الأحداث الاجتماعية لا تُنتج فقط من الإمكانات التي تحددها اللغات. نحتاج أن نتعرف إلى كيانات منظمة متوسطة ذات طبيعة لسانية

هي العناصر اللسانية في شبكات ممارسات اجتماعية... والنطاق الخطابي شبكة من الممارسات الاجتماعية في جانبها اللغوي"[3].

من جانب آخر، يرى نصر حامد أبو زيد أنه "ليست النصوص الدينية نصوصاً مفارقة لبنية الثقافة التي تشكلت في إطارها بأي حال من الأحوال. والمصدر الإلهي لتلك النصوص لا يلغي إطلاقاً حقيقة كونها نصوص لغوية بكل ما تعنيه اللغة من ارتباط بالزمان والمكان التاريخي والاجتماعي. ما هو خارج اللغة وسابق عليها ـ أي الكلام الإلهي في إطلاقيته ـ لا يمت لنا نحن البشر بصلة، بالإضافة إلى أننا لا نمتلك الأدوات المعرفية ولا الإجرائية لإخضاعه للدرس. لذلك لا يمكننا إنتاج خطاب علمي حوله، وأي حديث عن الكلام الإلهي خارج اللغة من شأنه أن يجذبنا شئنا ذلك أم أبينا إلى دائرة الخرافة والأسطورة"[1].

أما أصحاب كتاب (معجم تحليل الخطاب)، فإن الخطاب يأخذ ثلاث صيغ، وهي:

1-الصيغ الصريحة الأحادية الاتجاه لسانياً: الخطاب المباشر أو الخطاب غير المباشر.

2-الصيغ الموسومة لسانياً، ولكنها تستدعي مع ذلك عملاً تأويلياً. هذا هو الشأن عندما لا تتبين السمات (ذات الجهة المختلفة أين تكون) الإحالة مصدر الجزء المروي... وعلى المتقبل أن يحدد، بالاعتماد على السياق، هذا المصدر والسبب الذي من أجله ابتعد المتلفظ عنه.

3-الأشكال التأويلية الصرفة (الخطاب غير المباشر الحر، التلميحات، الشواهد الخفية...) التي لا يشار إلى أنها كذلك، ونجد في هذه (الصيغ التأويلية الصرفة) ظواهر شديدة التنوع: يعتمد في التعرف على الخطاب غير المباشر الحر على العديد من المؤشرات اللسانية، في حين أن الوقوف على التلميحات أو الشواهد الخفية يحتاج إلى الاستعانة بثقافة المتقبل (المُتَلَقي)، وبما يعرفه عن المتكلم (المُخَاطِب)، وبجنس الخطاب (المُخَاطَب به) الذي ينتمي إليه الملفوظ [2].

4- الزمن والمكان: لا يمكن أن يكون الخطاب الديني خارج عن الزمان والمكان الذي يلقى فيه، وإلا كان خطاباً خيالياً لا يعترف بالواقع، أو كان مثالياً يخرج عن نطاق محدودية البشر وقدرتهم، والقرآن الكريم يعتبر أكبر دليل على ذلك، تعمَّد الله أن يكون القرآن مفرقاً ليخاطب به المسلمين على مراحل، يراعي الزمان والمكان، فكان قرآناً مكياً وآخر مدنياً، يتابع الأحداث ويعالج القضايا

والمشاكل التي تنتج في وقتها، حيث يقول الله تعالى: ﴿وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا، وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾[4].

فالهدف من تفريق تنزيل القرآن الكريم ليقرأه رسول الله ﷺ على مُكث، فيقرأ عليهم ما يسد حاجة تلك اللحظة الزمنية، ويتلو عليهم ما يزيدهم إيماناً واحتساباً، ثم يواجه به أباطيل المشركين، ويفسر ما يستجد عليه من قضايا وأمور حول الدنيا والآخرة. "وهكذا ينبغي أن يكون خطاب الدعاة لدى الجماهير والأقوام، يرعى الزمان والمكان، ليكون لكل زمان لسان، ولكل مكان أذان، ولكل حدث حديث، ولكل مقام مقال، ولكل مصاب جواب، ولكل داء دواء. فالداعية الموفق هو ذاك الذي يتناسب خطابه بحال زمانه ومكانه، ولا يتخذ نموذجاً قد طبع على حالة واحدة، وسياق ثابت، ومدلول متبلد على معنى معين، وهدف فرد، وهم فذ، وبلد معلوم، وفئة معينة، وطريقة محددة، وطريق لا يعرج ولا يدور"[1]. فالخطاب يكون حسب الزمان الذي يدعو إليه، والمكان الذي يعيش فيه، وحسب القضايا التي تظهر وتستجد، "فليس الخطاب الذي يطلق في زمان الركود والرقود كالخطاب الذي يصدر في عهد اليقظة والنهوض... ولا يصح أن يكون الخطاب أيام الاستضعاف والهوان كالخطاب أيام الاستعلاء... ولا الخطاب حال العزة والتمكين كالخطاب في حال الانهزام والتبعية... ولا الخطاب في زمان الصحوة كالخطاب في زمان الغفلة... ولكن لكل حالة خطاب يناسبها ويفل حديدها ويسد ثغورها"[2].

لا بد أن نشير إلى أن الفصل بين مختلف العناصر المكونة للخطاب، أي خطاب كان، من الأمور المستعصية والصعبة التي واجهت الباحثين والدارسين في مختلف تخصصات العلوم الاجتماعية، فالفصل "بين ما هو من محض اللغة وما هو خارج عنها من الإشكالات الممتدة في الزمان والمكان، إنه السؤال المحير الذي لازم كل من تعاطى مع الفعل الخطابي منذ القديم وإلى الآن"[3].

ثالثاً: معالم الخطاب الديني:

ومن بين المعالم التي اتفق عليها أصحاب الخطاب الديني وأعلامه، نجد منها أن الخطاب الديني واجب على كل من اتبع النبي ﷺ، لأنه ائتمار بأمر رباني مذكور في القرآن الكريم والصحيح من السنة النبوية، وهو ما يجعل هذا الخطاب الرباني يدعى إليه بالحكمة والموعظة الحسنة سواء مع المؤمنين أو حتى مع المخالفين من هل الديانات السماوية والوضعية، وهي كلها نقاط سوف نتطرق إليها في هذا المبحث.

1 ـ الخطاب واجب على كل مسلم: يعلم كل المسلمين أن الخطاب الديني لإيصال صورته الشاملة والكاملة، ليست مهمة العلماء أو الدعاة، لكنها مهمة يناط بها كل واحد في المجتمع الإسلامي، مع المسلمين أو مع غيرهم من المجتمعات والأفراد، فلكل واحد جانب من الدعوة، أي لكل واحد جانب من المساهمة في نشر الدين. فمن اتبعني المذكورة في الآية الكريمة تدل على المسلمين كافة، وفي هذا يقول الدكتور يوسف القرضاوي:"كل ما في الأمر أن صورة الدعوة تختلف من شخص إلى آخر، حسب الاستطاعة والإمكان. فهناك من يدعو إلى الله بتأليف كتاب أو كتب. وهناك من يدعو إلى الله بإلقاء محاضرة في الجامعة أو في مركز ثقافي. وهناك من يدعو إلى الله بإلقاء خطبة جمعة في مسجد أو إلقاء درس ديني فيه. وهناك من يدعو بالكلمة الطيبة، والصحبة الجميلة، والأسوة الحسنة. وهناك من يدعو بالإنفاق على الدعاة، أو على نشر إنتاجهم، أو على تأسيس مركز للدعوة"[4].

وهذا يمكن اعتباره ثمرة الخطاب الديني الصحيح الذي وصل إلى تحقيق أهدافه بأن جعل كل أفراد المجتمع تساهم في نشر الدين الإسلامي، فيكون سلوكهم وأخلاقهم هي الدين الإسلامي وخطابه، من منطلق أن الخطاب الديني اليوم ليس الكتاب فقط أو الخطبة والموعظة في المسجد التي لها أصولها وقواعدها، ولكن الخطاب هو كل نشاط يقوم به الإنسان في المجتمع، مع المسلمين وغير المسلمين. فالعمل كما هو عبادة، هو خطاب، وإتقان هذا العمل كما هو عبادة بأمر الدين هو خطاب كذلك، لذلك كان الخطاب الديني في الإسلام أو الخطاب الإسلامي واجب على كل مسلم. فعلى المسلم أن يظهر مدى تأثره بالخطاب الملقى إليه، لأنه الوحيد الذي يظهر مدى تأثره بمحتويات

الخطاب من عدمه، لأنه بكل بساطة هدف أي خطاب، ويكون ذلك من خلال سلوكه في المجتمع مع نفسه، ومع غيره.

فالفرد، من خلال احتكاكه الدائم مع أفراد المجتمع ـ الداخلي وخاصة الخارجي ـ، من خلال نقاشاته وخاصة سلوكه بأن الشريعة الإسلامية تستطيع كما استطاعت خلال القرون الماضية "أن تفي بحاجات كل المجتمعات التي حكمتها، وأن تعالج كافة المشكلات في كافة البيئات التي حلت بها، بأعدل الحلول وأصلحها، لأنها بجوار ما اشتملت عليه ـ من متانة الأصول التي قامت على مخاطبة العقل، والسمو بالفطرة، ومراعاة الواقع، والموازنة بين الحقوق والواجبات، وبين الروح والمادة، وبين الدنيا والآخرة، وإقامة القسط بين الناس جميعاً، وجلب المصالح والخيرات ودرء المفاسد والشرور، بقدر الإمكان ـ قد أودعها الله مرونة عجيبة جعلتها تتسع لمواجهة كل طريف، ومعالجة كل جديد، بغير عنت لا إرهاق"[1].

ومن بين الجوانب المهمة التي ركز عليها أعلام الخطاب الديني في هذا العصر، ضرورة تسلح الفرد المسلم بثقافة إسلامية خالية من إيديولوجية أرثوذكسية دغمائية، ثقافة "محورها الإسلام: مصادره وأصوله وعلومه المتعلقة به، المنبثقة عنه... فإن الداعية (الفرد المسلم) الذي يدعو إلى الإسلام، لا بد أن يعرف: ما الإسلام الذي يدعو الناس إليه ؟.. ولا بد أن تكون هذه المعرفة معرفة يقينية عميقة، لا سطحية مضطربة. ولهذا كان لا بد أن يستمد هذه المعرفة عن الإسلام من مصادره الأصلية ومن ينابيعه المصفاة، بعيداً عن تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين"[2].

2 ـ الخطاب رباني: الخطاب الديني لا يدعو " إلى نظام بشري، ولا إلى فلسفة أرضية، ولا إلى قانون وضعي، وُضع بأمر إمبراطور أو ملك أو رئيس أو أمير، بل يدعو إلى تحرير البشر من العبودية للبشر، فلم يعد ـ في نظر الإسلام ـ بشر يملك أن يشرع لبشر تشريعاً مطلقاً دائماً، يحلل ما يشاء، ويحرم عليه ما يشاء، كما حدث عند أهل الكتاب في فترة من فترات التاريخ، وهو ما أنكره القرآن بشدة حين قال: ﴿اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ إِلَهًا وَاحِدًا لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[3].

آن للبشر أن يتحرروا من عبودية بعضهم لبعض وربوبية بعضهم لبعض، وأن يكونوا جميعا عباداً لله وحده، الذي خلقهم وسخر لهم ما في السماوات وما في الأرض جميعاً منه، وأسبغ عليهم نعمه ظاهرة وباطنة "[1]. فالخطاب الديني هو دعوة إلى ما أمر الله بطريقة بشرية، لا دعوة بشرية وضعية، وهو ما يجب أن يتيقن منه كل حامل لهذا الخطاب، دليله في ذلك فقط كتاب الله (القرآن الكريم) وسنة نبيه ﷺ التي جاءت شارحة ومفسرة لهذا الكتاب أو النص الموحى به أو الوديعة الأولى كما يسميه محمد أركون.

فخطاب النبي ﷺ الموجه إلى الملوك والسلاطين وأهل الكتاب كان ختمه قول الله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[2]، فلم يكن ختماً بشرياً، لأن الخطيب لا يخاطب الناس أو يدعوهم إلى نفسه أو قومه، بل يدعوهم إلى ربه متذكراً قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللّهِ وَلَكِن كُونُواْ رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾[3].

وفي هذا يقول الطبري:"وما ينبغي لأحد من البشر [...] يدعو الناس إلى عبادة نفسه دون الله، وقد آتاه الله ما آتاه من الكتاب والحكم والنبوة، ولكن إذا آتاه الله ذلك فإنما يدعوهم إلى العلم بالله، ويحدوهم على معرفة شرائع دينه، وأن يكونوا رؤساء في المعرفة بالله ونهيه، وأئمة في طاعته وعبادته بكونهم معلمي الناس الكتاب وبكونهم دارسيه"[4]، فهم القدوة الحسنة الواجب إتباعها (الأنبياء والرسل). فإذا كانت هذه الدعوة محرمة على الأنبياء ولا تصلح لهم، فكيف تصلح "لأحد من الناس غيرهم بطريق الأولى والأحرى، ولهذا قال الحسن البصري: لا ينبغي هذا لمؤمن أن يأمر الناس بعبادته، قال: وذلك أن القوم كان يعبد بعضهم بعضاً، يعني أهل الكتاب كانوا يعبدون أحبارهم ورهبانهم"[5].

توجد الكثير من الآيات القرآنية الدالة على أن الخطاب الديني يجب أن يكون لله وحده دون غيره، إذ يتوجب على الخطيب أن يبيّنها ولا يترك فيها مجال للتأويل، كقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾[6]. وقوله تعالى:

﴿أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا﴾[7]. وقوله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ اللّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلاً وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾[8].

وكلها تبيّن أن الدين لله وأن الخطاب لا يجب أن يخرج عن هذا الإطار. وكذلك قول الله تعالى: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ اللّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ، وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ، بَلِ اللّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنْ الشَّاكِرِينَ﴾[1]، فهي دعوة صريحة من الخالق تعالى لتضمين الخطاب الديني ما يبين بأن الدين كله لله وهو وحده الأحق بالعبادة والإيمان.

3 ـ الخطاب بالحكمة والموعظة الحسنة:

أ ـ أسلوب الحكمة: والمراد باستعمال الحكمة في الخطاب، هي مخاطبة " العقول بالأدلة العلمية المقنعة، وبالبراهين العقلية الساطعة، التي ترد على الشُبهات بالحجج والبيّنات، وترد المتشابهات إلى المحكمات، والظنيات إلى القطعيات، والجزئيات إلى الكليات، والفروع إلى الأصول. كما أن من الحكمة مخاطبة الناس بما يفهمون، وما تسيغه عقولهم، لا بما يعجزون عن فهمه "[2]. فقد ذكر عن علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) قوله:"حدثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يُكَذَّب الله ورسوله؟"[3]، وهو تأكيد على مخاطبة الناس بما يفهمون، وتظهر استعمال الحكمة في الخطاب الديني من خلال النقاط التالية:

ـ فالحكمة تستدعي أن يتحدث الخطيب لغة الناس الذي يوجه إليهم الخطاب، وليس معناها اللغة العربية أو الأجنبية، ولكن مخاطبة الناس باللغة التي يفهمونها، فليس لغة القرن الحادي والعشرين مثل لغة قرون مضت. فلغة هذا القرن وإن كانت تحمل نفس المفردات فإنها تختلف في المعاني والتأويلات، لذا وجب على الخطاب الديني الأخذ بعين الاعتبار هذه التطورات والمتغيرات في الحسبان، وإلا كان الخطاب مثل حوار الطرشان أو كما يقولون، وهو ما يبيّنه قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللّهُ مَن يَشَاء وَيَهْدِي مَن يَشَاء وَهُوَ الْعَزِيزُ

الْحَكِيمُ﴾[4]، وليس معناها التخلي عن اللغة العربية، إذ الاقتداء بالقرآن يتطلب استعمال اللغة التي استعملها القرآن، ولكن المفاهيم وكيفية توظيفها يراعي العصر ومقتضياته.

ـ من الحكمة أيضاً، ضرورة تهيئة المُتَلَقي لما يقدم له من خطاب مهما حمل من أوامر ونواهي، والرفق به، وإتباع المنهج النبوي في ذلك، فعن أنس عن النبي ﷺ قال:"يسروا ولا تعسروا، وبشّروا ولا تنفروا"[5]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ:"ذروني ما تركتكم، فإنما هلك من كان قبلكم بسؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشيء فخذوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فانتهوا"[6].

ـ من الحكمة أن يتبع الخطاب الديني الترتيب المنطقي الموجود في الدين الإسلامي، فالشرع الإسلامي أعطى لكل عمل قيمته ومرتبته بالمعيار الشرعي، فالمأمورات منها: أركان وغير أركان منها واجبات ومنها سنن. والمنهيات منها: ما هو كبائر وما هو صغائر. هذا الترتيب إذا أخلَّ به الخطاب الديني أدى إلى فهم سطحي للدين، فمن الخطباء "من تجدهم يعتمدون على المتشابهات في تحديد الكثير من المفاهيم الكبيرة التي رتبوا عليها نتائج خطيرة بل بالغة الخطر، في الحكم على الأفراد والجماعات وتقويهم، وتكييف العلاقة بهم من حيث الولاء والعداء، والحب والبغض، واعتبارهم مؤمنين يتولون، أو كفاراً يقاتلون"[1].

ـ من الحكمة، أخذ الناس بالتدرج، لأنه سنة كونية كما هو سنة شرعية، فلكونه سنة كونية تظهر في الخلائق وتطورها، مثل تطور الإنسان والحيوان والنبات، ولأنه سنة شرعية، " فقد أمر الله رسوله محمداً ﷺ بأن يرسي العقائد وأصول الأخلاق أولاً، كما نرى واضحاً في القرآن المكي، ثم بدأ بأخذه بالجانب العملي، متدرجاً بهم شيئاً فشيئاً، بادئاً بإقامة الصلوات، التي فرضت قبل الهجرة، ثم بإيتاء الزكاة وصوم رمضان في السنة الثانية من الهجرة، ثم بعد ذلك فرض الحج لمن استطاع إليه سبيلاً"[2].

ب ـ **أسلوب الموعظة الحسنة:** يقول الدكتور يوسف القرضاوي:"وإذا كانت الدعوة بالحكمة تخاطب العقول فتقنعها، فإن الدعوة بالموعظة الحسنة تخاطب القلوب والعواطف فتثيرها وتحركها. والإنسان ليس عقلاً مجرداً، إنه عقل وقلب معاً، إنه عقل يدرك ويفكر وقلب يحس

ويشعر، وعلينا أن نخاطب الجانبين فيه معاً: الجانب الذي يعي ويدرك ويحصل المعرفة، والجانب الذي ينفعل ويريد، يحب ويكره، ويرغب ويرهب"[3]. فجميع المخَاطَبين، ومهما كانت صفتهم أو فئتهم، من النخبة أو من عوام الناس، يحتاجون إلى أن يخاطبوا بالحكمة حيناً، وبالموعظة حيناً، تخاطب العقول فتحاكم إلى المسلمات العلمية والعقلية، وتخاطب العواطف فتستثير دوافعها إلى الخير.

وقد يكون حسن الموعظة في اختيار الموضوع المناسب، أو اختيار الأسلوب المؤثر، وقد يكون حسنها في أنها جاءت في وقتها المناسب فلمست وتراً حساساً لدى المُتَلَقي فأثرت فيه، أو قدرت ضعف الإنسان، فلم تؤنبه حين يسقط، ولم تجرحه حين يعثر ويخطئ، فكل ابن آدم خطاء... وقد يكون حسنها: أنها اتخذت المنهج الوسط في الترغيب والترهيب فلم تخوف الناس حتى ييأسوا من روح الله... ولم تبالغ في الرجاء، حتى يأمن الناس من مكر الله، لذلك وجب على الخطيب اتخاذ المنهج القرآني السبيل الأوحد لتقديم الخطاب الديني، فالقرآن يجمع بطريقة بديعة بين الترغيب والترهيب ويوازن بينهما بشكل رائع.

4 ـ الخطاب مع المخالفين: تكون الحكمة والموعظة الحسنة مع الموالين أو الموافقين الذين نتفق معهم في الدين، بينما خصص الإسلام الجدال بالتي هي أحسن مع المخالفين لنا، خاصة من أهل الكتاب، " ومن ذلك: أن يختار أرق العبارات، وألطف الأساليب في جداله مع المخالفين، حتى يؤنسه، ويقربه منه، ولا يوغر صدره، أو يثير عصبيته "[1]. ولنا في القرآن الكريم العديد من الأمثلة على الجدال بالحسنى مع المخالفين، حيث يسعى من خلالها الخطاب الديني إلى التركيز على ما يجمع بينه وبين المتحاورين، ويضمر نقاط الخلاف والتباين، لأن وجود أرضية مشتركة للجدال أو الحوار تساهم في جديته، ويمكن أن يجلب المنفعة. وفي هذا يقول الله تعالى: **﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾**[2].

والمخَاطِب الحامل للخطاب الدين الإسلامي "يتفاعل مع غيره من أهل الديانات والملل، دعوة ومجادلة ومجاهدة، ولا ينغلق بل ينفتح بخطابه ليمتد على العالمين، يبشر بالحق الذي أوتيه،

ويحيي حركة السابقين الأولين من سلف الأمة الصالحين ومن اتبعهم بإحسان، وقد انطلقوا يبلغون الإسلام إلى الأمم الأخرى، يملؤون الأرجاء بعدل الإسلام من جور الأديان، ويحررون الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ويوسعون في الآفاق من ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة على فهم جديد وقرآن مجيد"[3]. وهو بالطبع رؤية الخطاب الوسطي أو خطاب الوسطية والاعتدال الذي يرى الاهتمام بالداخل دون نسيان المحيط الخارجي أو المحيط العالمي.

خاتمة: لا بد أن نشير أن الخطاب مع المخالفين أخذ حيزاً كبيراً من اهتمام الباحثين والدارسين للدين الإسلامي، من حيث الماهية وعلاقة الإسلام مع المخالفين، والخطاب الواجب تبنيه، سواء أصحاب الديانات التوحيدية أو الديانات الوضعية، خاصة في العصر الحاضر، مع ما يعرفه هذا الحاضر من تغيرات متسارعة وكثيفة وحتى متناقضة تؤثر على المجتمعات والأفراد على حد سواء، لكن النظر إليها بطريقة معمقة قد لا تكون ذات أهمية في المرحلة الراهنة، لأن الضرورة تتطلب العودة إلى المعين الأول للخطاب الديني (الكتاب والسنة)، ثم النظر في الطرق الحديثة التي تجعل من هذا العصر يحقق صلاحية الإسلام لكل زمان ومكان.

المرحلة التي يتوجب الاهتمام بها هو إعادة صياغة خطاب ديني حتى يعبر عن الإسلام الصحيح، مع المسلمين أولاً، من منطلق بناء الفرد المسلم الذي سوف يكون الصورة الحقيقية للدين أو الخطاب. هذا الاهتمام، يدعو إليه كذلك محمد أركون، من خلال دعوته إلى تأصيل الخطاب الديني والعودة به إلى المعين الأول (الكتاب والسنة) لا غيرهما، واستعمال المناهج الحديثة المستعملة في مختلف العلوم الإنسانية والاجتماعية وعلم الأنثروبولوجيا، من أجل معرفة الطرق السليمة والصحيحة لجعل هذا الخطاب يتخطى كل العراقيل والمعوقات التي امتلكته أو وقفت حاجزاً أمامه منذ القرن الرابع الهجري وإلى يومنا هذا.

نقطة أخرى نستشفها، لما نتحدث عن الخطاب الديني، وهي أنه توجد عوامل كثيرة متداخلة في تكوين الخطاب، انطلاقاً من عوامل التربية الشخصية للخطيب أو التنشئة وصولاً إلى ثقافته وكيفية تعامله، إذ يطغى على الخطيب التوجه الإيديولوجي البعيد عن التوجه العلمي الصرف، وقد يصل إلى ما سماه أركون بالأرثوذكسية. فالكثير من الخطباء، خاصة ما يسمون أنفسهم بالسلفية،

حيث تجدهم لا يعيشون في عصرهم ويخاطبون الناس بلسان الموتى، لا يحس بما تمور الدنيا من حوله، ثقافته قديمة جداً، وعالمه كله قديم، والمشاكل التي يتحدث عنها مشاكل أزمنة غابرة، والمفردات التي يستعملها قد هجرت. جسمياً محسوب على القرن الحادي والعشرين وذهنياً محسوب على القرن الخامس الهجري.

يبقى المهم في هذه النقاط أنها محل دراسة وبحث واسعين، وقد يكون كل نقطة من هذه النقاط مقالاً وبحثاً قائماً بحد ذاتها. فالمقام لا يسمح بالتوسع فيها أكثر من هذا الحد، غير أن التطرق كان من باب تسليط الضوء على مختلف الجوانب المتعلقة بالخطاب الديني والعوامل التي تتضافر وتتكاتف ليصل الخطيب إلى أداء رسالته والدعوة إلى دين الله كما فعل الرعيل الأول.

مراجع البحث وإحالاته:

(1) محمد حافظ دياب: سيد قطب، الخطاب والإيديولوجيا، دار العالم الثالث للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، (د. ت)، ص: 09.

(1) إدريس حمادي: الخطاب الشرعي وطرق استثماره، ط 01، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الدار البيضاء، المغرب، 1994، ص: 21.

(2) ابن منظور: لسان العرب، طبعة مراجعة ومصححة، المجلد الثالث، باب الحاء، دار الحديث (طبع، نشر، توزيع)، القاهرة، مصر، 2003، ص: 136 – 137.

(3) سورة ص، الآية : 20.

(4) سورة ص، الآية : 23.

(5) سورة النبأ، الآية : 37.

(6) مهى العتوم: تحليل الخطاب في النقد العربي الحديث، دراسة مقارنة في النظرية والمنهج، دراسة مكملة لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها، تحت إشراف: سمير قطامي، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن، 2004، ص: 07.

(7) بول ريكور: نظرية التأويل، الخطاب وفائض المعنى، ط 02، ترجمة: سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، الدار البيضاء المغرب، 2006، ص: 56.

(1) بول ريكور: مرجع سابق ، ص: 181

(2) الزواوي بغورة: مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، 2000، ص. ص: 89 – 90 .

(3) مهى العتوم: مرجع سابق، ص: 15.

(1) ميشيل فوكو: حفريات المعرفة، ترجمة: سالم يفوت، ط 02 منقحة، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، الدار البيضاء، المغرب، 1987، ص: 76.

(2) المرجع نفسه، ص: 108.

2(3) يوسف القرضاوي: خطابنا الإسلامي في عصر العولمة، ط 01، دار الشروق، القاهرة، مصر، 2004، ص: 15.

(4) السيد محمد الشاهد: الخطاب الفلسفي المعاصر (من العام إلى الأعم)، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2000، ص: 07.

(5) محمد حافظ دياب: مرجع سابق ، ص: 08.

(1) محمد حافظ دياب: مرجع سابق ، ص: 09.

(2) حسن حنفي: "تحليل الخطاب الديني"، مجلة الجمعية الفلسفية المصرية، العدد 06، مطبعة العمرانية، الجيزة، مصر، 1997، ص: 264.

(3) نابي بوعلي: "إشكالية تجديد الخطاب الديني الإسلامي"، المواقف: مجلة الدراسات والبحوث في المجتمع والتاريخ، عدد خاص بفعاليات الملتقى الدولي حول الظاهرة الدينية، منشورات المركز الجامعي مصطفى اسطنبولي، معسكر، الجزائر، 2008، ص: 173.

(4) باتريك شارودو، دومينيك مانغونو: معجم تحليل الخطاب، تر: عبد القادر المهيري، حمادي صمود، مراجعة: صلاح الدين الشريف، المركز الوطني للترجمة، وزارة الثقافة والمحافظة على التراث، دار سيناترا، تونس العاصمة، تونس، 2008، ص: 184.

(1) إدريس حمادي: مرجع سابق ، ص: 17.

(2) الشاطبي: الموافقات في أصول الشريعة، ط 01، المجلد الرابع، ضبط وتقديم وإخراج: أبو عبيدة آل سلمان، تقديم: بكر بن عبد الله أبو زيد، دار ابن عفان للنشر والتوزيع، الخُبَر، المملكة العربية السعودية، 1997، ص: 146.

(3) عبد الكريم بكار: المتحدث الجيّد، مفاهيم وآليات، ط 01، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، مصر، 2010، ص: 93.

(4) علاء الدين علي الدمشقي: كتاب أدب الخطيب، ط 01، قرأه وعلق عليه: محمد بن الحسين السليماني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1996، ص: 91.

(5) أبو داود: سنن أبي داود، حكم على أحاديثه وآثاره وعلق عليه، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع الرياض، المملكة العربية السعودية، (د. ت)، الحديث : 582، ص. ص: 107 – 108 .

(1) أبو داود: مرجع سابق ، الحديث : 590، ص: 109.

(2) عبد الجليل عبده شلبي: الخطابة وإعداد الخطيب، ط 03، دار الشروق، القاهرة، مصر، 1987، ص: 35.

(3) نفس المرجع، ص: 36.

(4) نفس المرجع، ص: 37.

(1) ديل كارنيجي: اكتساب الثقة، فن الخطابة، ط 01، الأهلية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 2001، ص: 96.

(2) عبد الكريم بكار: المتحدث... مرجع سابق ، ص: 39.

(3) عمرو بن بحر الجاحظ: البيان والتبيين، المجلد الأول، قدم لها وبوبها وشرحها: علي أبو ملحم، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 2002، ص: 131.

(4) غوستاف لوبون: سيكولوجية الجماهير، الفكر الغربي الحديث، ط 01، ترجمة وتقديم: هاشم صالح، دار الساقي، بيروت، لبنان، 1991، ص: 45.

(1) غوستاف لوبون: مرجع سابق ، ص: 74.

(2) إدريس حمادي: مرجع سابق ، ص: 175.

(3) نورمان فاركلوف: تحليل الخطاب: التحليل النصي في البحث الاجتماعي، ط 01، ترجمة: طلال وهبة، مراجعة: نجوى نصر، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ديسمبر 2009، ص: 61.

(1) نصر حامد أبو زيد: النص، السلطة، الحقيقة (الفكر الديني بين إرادة المعرفة وإرادة الهيمنة)، ط 01، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، الدار البيضاء، المغرب، 1995، ص: 92.

(2) باتريك شارودو، دومينيك مانغونو: مرجع سابق ، ص: 186.

(3) سورة الإسراء، الآية : 106.

(4) سورة الفرقان، الآيات : 32 – 33.

(1) عبد الله الزبير عبد الرحمن: دعوة الجماهير، مكونات الخطاب... ووسائل التسديد، سلسلة كتاب الأمة، 76، تقديم: عمر عبيد حسنه، مركز البحوث والدراسات بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الدوحة، قطر، 2000، ص: 29.

(2) نفس المرجع، ص: 29.

(3) يحي محمد رمضان: مرجع سابق ، ص: 329.

(4) القرضاوي: خطابنا . . . مرجع سابق ، ص: 29.

(1) القرضاوي: عوامل السعة والمرونة في الشريعة الإسلامية، ط 02، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1992، ص: 10.

(2) القرضاوي: ثقافة الداعية، ط 10، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، 1996، ص: 07.

(3) سورة التوبة، الآية : 31.

(1) القرضاوي: خطابنا... مرجع سابق ، ص: 30.

(2) سورة آل عمران، الآية : 64.

(3) سورة آل عمران، الآية : 79.

(4) محمد بن جرير الطبري: مرجع سابق ، المجلد الثالث، ص: 288.

(5) إسماعيل ابن كثير: مرجع سابق ، ج 01، ص: 549.

(6) سورة الأنعام، الآيات : 162 – 163.

(7) سورة النساء، الآية : 82.

(8) سورة الأنعام، الآية : 114.

(1) سورة الزمر، الآيات : 64 – 66.

(2) القرضاوي: خطابنا... مرجع سابق ، ص: 31.

(3) الحافظ أحمد العسقلاني: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ط 01، المجلد الأول، تعليق: عبد الرحمن بن ناصر البراك، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، 2005، ص: 391.

(4) سورة إبراهيم، الآية : 04.

(5) محمد ناصر الدين الألباني: مختصر صحيح الإمام البخاري، ط 01 الطبعة الشرعية الجديدة، المجلد الأول، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، 2002، الحديث : 52، ص: 47.

(6) محمد القزويني ابن ماجه: سنن ابن ماجه، ط 01، حكم على أحاديثه وعلق عليه، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، (د. ت)، الحديث : 02، ص: 13.

(1) القرضاوي: الصحوة الإسلامية بين الجمود والتطرف، ط 01، دار الشروق، القاهرة، مصر، 2001، ص: 68.

(2) القرضاوي: خطابنا... مرجع سابق ، ص: 36.

(3) المرجع نفسه، ص: 37 .

(1) القرضاوي: خطابنا . . . مرجع سابق ، ص: 38 .

(2) سورة العنكبوت، الآية : 46.

(3) عبد الله الزبير عبد الرحمن: من مرتكزات الخطاب الدعوي في التبليغ والتطبيق، ط 01، سلسلة كتاب الأمة، 56، تقديم: عمر عبيد حسنه، مركز الدراسات والأبحاث بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الدوحة، قطر، 1997، صص: 65 – 66.